سيدي قدور العلمي وزاويته بمكناس

محمد أمين العلوي
باحث

من أهم الزوايا التي تأسست بمكناس في القرن التاسع عشر، الزاوية العَلَمية (بفتح العين واللام)، زاوية سيدي عبد القادر العلمي، الواقعة في قلب المدينة القديمة، ما بين حي التوتة وحي سيدي أبي الطيب «سيدي بوطيب»، الذي أصبح فيما بعد يحمل اسم زنقة سيدي عبد القادر العلمي، بعد تأسيس زاويته بها ونقل الخطبة إلى مسجدها[1]. وفي وصفها يقول العربي المشرفي : «فهي التي ابتهجت بها هذه المدينة (...) وهي اليوم أعظم الزوايا، تشد لزيارتها الرحال على المطايا (...) وما مثل زاويته اليوم إلا زاوية مولانا إدريس الأكبر، أو زاوية مولانا إدريس الأصغر، أو زاوية أبي العباس السبتي بمراكشة...»[2].

لم تكن الزاوية العَلَمية أقل مكانة واشعاعاً من الزوايا التي نالت حظها من البحث والتنقيب من لدن الدارسين والمؤرخين المغاربة والأجانب، إذ لا نجد لها ذكراً مفصلا ضمن قائمة الزوايا التي أسست ما بين أواخر القرن الثامن عشر «التيجانية 1781» وأواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر «الكتانية 1850» وغيرهما...

(1) نقل السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الخطبة من مسجد سيدي أحمد بن خضراء (المسمى سابقاً بمسجد البزاز) إلى مسجد الزاوية العلمية وأتم بناءه ومناره. (عبد الرحمن بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، ط 2، الدارالبيضاء 1990، ج 1، ص 207).

(2) العربي المشرفي، **الحسام المشرفي في الرد على أكنسوس المراكشي**، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم كـ 2276، ص 288-289.

كما أننا لا نقف على تعريف لها أو حديث عن اسمها ضمن باقي أسماء الطرق الواردة في **دائرة المعارف الإسلامية**(3)، كذلك الشأن عند ميشو بيلير في محاولته لوضع تاريخ الطرق المغربية(4).

بيد أننا ـــ ولحسن الحظ ـــ وجدنا لها ذكراً في الحوالات الحبسية، من خلال ما حبس عليها وعلى مسجد من أوقاف(5) وإشارة إلى خزانة مخطوطاتها(6) ومن خلال الظهائر الشريفة والمراسلات المخزنية.

I ـــ مؤسس الزاوية :

هو الولي الصالح والقطب الواضح سيدي عبد القادر العلمي المشهور بالأشعار الملحونة والشهير بسيدي قدور.

1 ـــ نسبـــه :

ينتمي إلى الشرفاء الحسنيين المشيشيين المنحدرين من ذرية المولى إدريس الثاني ابن إدريس الأول «الذين لقبوا بالعلميين، من باب تسمية الحالّ باسم المَحل، فقد نزلوا جبل العَلَم ببني عروس فتسموا باسمه، والعَلَم هو الجبل الطويل، والعَلَمي هو المنتسب لمحمد بن إدريس عن طريق أبي بكر جد مولاي عبد السلام بن مشيش ابن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي الملقب حيدرة ابن محمد بن إدريس»(7).

(3) **دائرة المعارف الإسلامية**، نقلها إلى العربية : محمد ثابت أفندي وآخرون، مادة «طريقة»، المجلد 15، صص. 172-187.

(4) Michaux Bellaire, «Essai sur l'histoire des confréries marocaines», **Hespéris**, Tome I, 2e Trimestre 1921, pp. 141-159 ; Michaux Bellaire, «Les confréries religieuses au maroc», **Archives marocaines**, Vol XXVII, 1927, pp.

(5) **حوالة أحباس الزاوية العلمية بمكناس**، الخزانة العامة، الرباط، شريط رقم 115، نقلا عن : محمد المنوني، «مجموعة المصادر التاريخية المغربية»، مجلة **البحث العلمي**، ع 20/21 «مزدوج» س 10، يوليوز 1972 ـــ يونيو 1973، ص 83-95.

(6) محمد المنوني، «معرض المخطوطات العربية بمكناس»، **مجلة تطوان**، ع 3/4 مزدوج، سنة 1958/59، ص 83-95.

(7) عبد المجيد الزبادي، **بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام**، مخطوطة الخزانة العامة، الرباط، رقم ك 398، ص 445.

وتجمع منظومة لشاعر الحضرة محمد بن المعطي المسطاري[8] سلسلة نسب سيدي عبد القادر العلمي[9] وترفعه إلى الحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ. فالجد الجامع لنسب العَلَميين هو «الولي الصالح أبو بكر العلمي الذي عاش حوالي النصف الثاني من القرن الخامس، وخلفه ابنه سليمان المشتهر بلقب «مشيش» بالميم، وقيل بالباء، دفين قرية «أغيل»، عليه حوش فوق القامة مطلى بالجير، وبالقرب من الخلوة المخضرة مسجده القائم إلى الآن وأثر دار سكناه...»[10].

2 ـــ مولده ونشأته :

ولد بمكناسة الزيتون سنة 1154هـ/1741م «ونشأ في صيانة وعفاف في حجر والده بالدار التي اتخذها زاوية بعد وفاة والده، وبها أقبر»[11]، وقد أفاض في ذكر تفاصيل سيرة العلمي، تلميذه وملازمه الطبيب امحمد بن عبد الهادي غريط[12] في أرجوزته : «رياض أنس الفكر والقلب أو نزهة الأبصار والأفكار

---

(8) انظر ترجمته : ابن زيدان، **الإتحاف، مصدر سابق**، ج 4، ص 268–271.

(9) منظومة سلسلة نسب سيدي عبد القادر العلمي، دالية في 17 بيتاً، مخطوطة خاصة مطلعها :

بِمَوْلاَيَ عَبْدِ ٱلْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ سَلِيلِ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدِ ذِي النَّدَا
وَجَاهِ أَبِيهِ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَجَدِّهِ عَبْدِ ٱللَّهِ جُدْ لِي بِٱلْفِدَا

إلى أن يقول :

فَسِلْسِلَةُ الأَبْرَارِ أَبْدَتْ مَسَرَّتِي فَأَصْبَحْتُ مِنْ خَمْرِ ٱلْوِدَادِ مُعَرْبِداً

اقتصرنا على الأبيات الثلاثة، مراعاة للحيز المتاح.

(10) الطاهر بن عبد السلام اللهيوي، **حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام**، ط 1، دار الثقافة، الدارالبيضاء، ص 300.
للمزيد من التفاصيل، انظر : إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي، **الدرر البهية والجواهر النبوية الحسنية والحسينية**، طبعة حجرية فاسية، ج 2، ص 92.

(11) ابن زيدان، **الاتحاف، م.س**، ج 5، ص 336.

(12) غريط امحمد بن عبد الهادي الأندلسي ثم المكناسي، نزيل مراكش والمتوفى بها عام 1271هـ/54–1855م ودفن بضريح مولاي علي الشريف، انظر ترجمته : ابن زيدان، **الإتحاف، م.س**، ج 4، ص 242–247؛ العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1977، ج 6، ص 308–309؛ عبد السلام بن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ط 2، دار الكتاب، الدارالبيضاء 1960، ج 1، ص 278.

في روضة النصح والاعتبار»[13] ومحمد التاودي السقاط في مخطوطته : «خرق العوائد واستجلاب الفوائد»[14] والمؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان في اتحافه[15].

3 ــ مشايخه :

أخذ العلمي التصوف عن مجموعة من المشايخ، من بينهم :

ــ الحاج المختار البقالي، المتوفى في 7 أو 28 صفر عام 1255هـ/ 13 ماي 1839م[16].

ــ سيدي علي بن عبد الرحمن المعروف بالجمل، المتوفى بفاس في 29 ربيع الأول عام 1194هـ/1780م[17].

ــ شيخ «أفاقي» مجهول النسب، اسمه بدر الدين[18].

ــ مولاي الطيب الوزاني، المتوفى بوزان يوم الأحد 18 ربيع الثاني عام 1181هـ/1767م[19].

---

(13) امحمد بن عبد الهادي غريط، **رياض أنس الفكر والقلب**، فرغ من نظمها عام 1254، مخطوطة الخزانة العامة، الرباط، رقم د 512 وهي المعتمدة في هذا البحث، وهناك نسخ أخرى موجودة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، رقم 61؛ خزانة الزاوية العَلَمية بمكناس، بدون رقم؛ خزانة ابن غازي بالرباط، للمرحوم العلامة محمد المنوني.

(14) محمد التاودي السقاط، **خرق العوائد واستجلاب الفوائد**، مخطوطة الخزانة العامة، الرباط، رقم كـ 52، وهي المخطوطة الفريدة الموجودة الآن بخط المؤلف في مجلد واحد، فرغ من تصنيفها في 20 صفر الخير سنة 1288هـ/1871م؛ انظر : العباس بن إبراهيم، **الأعلام**، **م.س** ج 6، ص 329؛ ابن سودة، **الدليل**، **م.س**، ج 1، ص 206.

(15) ابن زيدان، **الإتحاف**، **م.س**، ج 5، ص 336–352.

(16) **نفسه**، ج 5، ص 341.

(17) **نفس المصدر والصفحة**، انظر ترجمته : محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، طبعة حجرية، فاس 1316، ج 1، ص 358؛ **مناقب الشيخ علي الجمل** بقلم تلميذه الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي الحسني، نقلا عن : ابن سودة، **الدليل**، **م.س**، ج 1، ص 224؛ ابن إبراهيم، **الاعلام**، **م.س**، ج 8، ص 458.

(18) ابن زيدان، **الاتحاف**، **م.س**، ص 341. لم نقف على شيء من ترجمته.

(19) عبد الله بن الطيب الوزاني، **الروض المنيف في أولاد مولاي عبد الله الشريف**، مخطوطة خاصة، ص 347؛ انظر كذلك : عبد الإله لغزاوي، **الممارسة الثقافية للزاوية الوزانية** :=

ـ سيدي محمد بن أحمد الصقلي، المتوفى عام 1232هـ/1817م[20].

ـ أبو الأسرار حمادي الحمادي المكناسي، المتوفى أواسط المائة الثالثة بعد الألف بفاس ودفن قريبا من وادي الزيتون[21].

4 ـ مريدوه في التصوف :

ضمت الزاوية العلمية مريدين من مختلف الشرائح الاجتماعية، من داخل مكناسة الزيتون وخارجها، لأخذ التصوف والأسرار والمعارف عن شيخها العلمي. وقد شكلوا طائفة من الفقراء إلى الله، تساوى فيها الرفيع والوضيع والغني والفقير، ونكتفي بإعطاء تعريف وجيز للبعض منهم :

ـ للا خديجة :

هي الشريفة العَلَمية «للاخدوج»، شقيقة العلمي، لازمته وتتلمذت عليه إلى أن توفيت، وقبرها بجوار قبر أخيها على يمين الداخل للقبة، عليه دربوز من خشب، كانت من الصالحات، وظهرت لها كرامات عديدات[22]، وفيها يقول العلمي :

نَصْرُوا خْلِيلْتِي تَاجَة　　تَاجْ الرّيَامْ خَدُّوجْ
تَسْتَاهَلْ النَّصَرْ زِينَةْ　　لاسَمْ لَلاَّ خْدِيجَة

ـ السيدة هنية :

هي «أمي هنية» خادمة العلمي والمكلفة بتهييء الطعام للزوار والوافدين، لازمته وتتلمذت عليه، إلى أن أتاها أجلها ودفنت بعَتَبة القبة يسار البئر[23].

ـ السيد محمد الدهري :

ابن السيدة هنية، تربى في كنف العلمي وأخته للا خديجة، «ظهرت على يده

= **معالجة في التفكيك والتركيب**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها (مرقونة)، مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1996؛ ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1977، ص 232-233.

(20) ابن زيدان، **الاتحاف، م.س**، ج 5، ص 341؛ الكتاني، **السلوة، م.س**، ج 3، ص 348.

(21) ابن زيدان، **الاتحاف، م.س**، ج 3، ص 9-10.

(22) السقاط، **خرق العوائد، م.س**، ص 91.

(23) **نفس المصدر**، ص 84.

أسرار وخوارق يتعجب منها»[24].

ـ **السيد عبد الكريم :**

من خاصة أصحاب العلمي والقائمين بشؤونه، «كان في خدمة المخزن، فاستجار بالشيخ أن يعفيه من ذلك ليلازم خدمة الشيخ، فأعفي ولازمه سنين عديدة، كلفه مخدومه بالقيام بعدة صناعات، برع فيها دونما سابق معرفة»[25].

ـ **المرابط أبو عبد الله محمد يدعى منصور :**

هو سيدي منصور «الحفيد» حفيد أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المنشنزائي «سيدي سعيد بوعثمان» صاحب الضريح المشهور بمكناس، «مجذوب، ساقط التكليف، ذو كشف واضح وأحوال خارقة (...) كان كثير التردد لسيدي عبد القادر العلمي، أخذ عنه الأسرار والمعادن[26]، توفي يوم الأحد 12 ربيع الثاني عام 1334 ودفن بضريح جده في قبة الذكر»[27].

ـ **سيدي محمد بن عبد الحفيظ الدباغ :**

ذكره ابن زيدان من جملة الآخذين عن العلمي[28].

ـ **سيدي العربي بن السائح الشرقي :**

أخذ التصوف عن العلمي، حيث «جالسه سنين ونال منه وسمع منه الكثير، ولد بمكناسة الزيتون ليلة عيد الأضحى عام 1229»[29] وقضى بها أربعين سنة «ثم انتقل إلى الرباط واستوطنها إلى أن وافاه أجله ليلة 29 رجب عام 1309 ودفن ببيت من روضه»[30] الذي أصبح مزارة معروفة بشارع لعلو.

---

(24) **نفس المصدر**، ص 84-85.

(25) **نفسه**، ص 82.

(26) ابن زيدان، **الاتحاف**، ج 4، ص 296.

(27) **نفسه**، ج 4، ص 297؛ انظر كذلك : ابن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، المطبعة الملكية، الرباط 1961، ج 1، ص 126.

(28) ابن زيدان، **الاتحاف**، **م.س**، ج 5، ص 341.

(29) ابن زيدان، **الاتحاف**، **م.س**، ج 5، ص 430.

(30) محمد بن علي دنية الرباطي، **مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط**، ط 1، مطابع الاتقان، الرباط 1986، الجزء الثاني، ص 229؛ عبد الله الجراري، **ورقات في أولياء** =

ــ **الإمام محمد صالح بن خير الله الرضوي البخاري :**

من الآخذين عن العلمي ومن المنتفعين به، قال عنه صاحب السلوة : «الشيخ الكامل والعلامة المحدث الفاضل...»[31].

ــ **الإمام عبد الرحمن بن التهامي الشريف الحسني الإدريسي :**

من المريدين الذين يأتون من الزاوية الإدريسية بزرهون، حيث كان إماماً بمسجد الضريح الإدريسي، «صحب العلمي وإلى طريقته ينتسب»[32].

ــ **الإمام محمد بن هاشم العلوي الحروني :**

يعتبر من خاصة أصحاب الشيخ، الذي «ألزمه تعليم الصبيان بمكتب قرب مسجده، ويؤم به الصلوات الخمس من غير أجرة لمدة أربعين سنة»[33]، توفي في 23 قعدة الحرام عام 1285 ودفن بضريح سيدي الحاج القدوة من الحضرة المكناسية.

ــ **الكاتب محمد التاودي بن امحمد السقاط :**

أحد المريدين الذين يأتون من مدينة فاس للأخذ عن العلمي، كان من المحبين له والمقربين عنده، يرجع له الفضل في كتابة سيرة شيخه وطريقته في مخطوطته السابقة الذكر[34].

ــ **المؤرخ العربي المشرفي بن علي المعسكري :**

تلميذ العلمي ومن محبيه والمتعلقين به، المكثرين من زيارته[35]، من علماء القرن الثالث عشر، مؤرخ وناقد، اشتهر بكتابه «الحسام المشرفي...».

ــ **الطبيب امحمد بن عبد الهادي غريط :**

علامة مشارك وطبيب، من الملازمين لخدمة العلمي «فانيا في محبته، مستغرق

= **الرباط ومساجده وزواياه**، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، 1978، ص 30-31.

(31) ابن زيدان، **الاتحاف**، **م.س**، ج 5، ص 341؛ الكتاني، **السلوة**، **م.س**، ج 1، ص 195.

(32) **الإتحاف**، **م.س**، ج 5، ص 342؛ انظر ترجمته : **الإتحاف**، ج 5، ص 292-293.

(33) محمد التاودي السقاط، **خرق العوائد**، **م.س**، ص 64؛ انظر ترجمته : **الاتحاف**، **م.س**، ج 4، ص 255-256.

(34) انظر هامش 14.

(35) العربي المشرفي المعسكري، **الحسام المشرفي**، **م.س**، ص 289-290.

الأوقات في مجالسته والثناء عليه والحض على صحبته والعض عليها بالنواجد»[36]، لم يأل جهداً في الحديث عن التصوف والنصائح وأحوال طريق القوم وآدابها وسيرة شيخه الجليل العلمي في أرجوزته «رياض أنس الفكر والقلب» حيث يقول :

فَمِنْ رِيَاضِ شَيْخِنَا اقْتَطَفْتُ ... وَمِنْ رِضَاهُ بِالْحِمَى قَدْ طُفْتُ
وَهُوَ وَسِيلَتِي لِنِعَمِ الْبَارِي ... بِالْفَضْلِ مِنَ الْوُرُودِ وَالْأَصْدَارِ
وَقُدْوَتِي وَكُلّ مَا قَصَدْتُ ... مِنْ قَبْلُ فِي مَضْمُونِهِ وَجَدْتُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَفْوِ الْوِدَادِ ... يَا بُغْيَةَ الْقَلْبِ يَا غَايَةَ الْمُرَادِ[37]

ـ الوزير محمد بن محمد غريط الأندلسي :

من مريدي الزاوية العلمية في التصوف ومن رواة العلمي في الملحون، كانت «له يد في الرباعيات والأزجال، وحظوة بلقاء صلحاء الرجال، كالولي سيدي عبد القادر العلمي»[38]، تقلد مهام الوزارة على عهد السلطان المولى عبد الرحمن.

ـ الوزير محمد بن إدريس العمراوي :

هو «الوزير الأسعد، الرئيس الأمجد، الفقيه الأديب الأشهر، الناظم الناثر الأبهر، كان له معتقد صالح في سيدي عبد القادر العلمي، يزوره ويلتمس منه صالح الدعاء»[39]. يعتبر كسابقه، مريداً للزاوية في التصوف وراوية في الملحون، ووزيرا للسلطان المذكور.

ـ السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام :

ذكره ابن زيدان «من جملة الآخذين عن العلمي، ومن خاصة محبيه ومعتقديه (...) بويع له بالخلافة بفاس في 15 ربيع النبوي عام 1238هـ وتوفي يوم الاثنين 29 محرم عام 1276هـ، ودفن بعد العشاء من يومه بضريح جده الأكبر أبي النصر

---

(36) **الاتحاف**، ج 4، ص 243.

(37) امحمد غريط، **رياض أنس الفكر**، **م.س**، ص 232.

(38) محمد غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان**، ط 1، المطبعة الجديدة، فاس، 1346، ص 3؛ انظر كذلك، **الاتحاف**، **م.س**، ج 4، ص 248–254.

(39) الكتاني، **السلوة**، **م.س**، ج 2، ص 362–363؛ انظر كذلك، **الاتحاف**، **م.س**، ج 4، ص 189–239.

إسماعيل»[40].

5 ــ طريقته :

تباعية، جزولية، فقد أخذ العلمي :

ــ عن مولاي الطيب الوزاني.

ــ عن والده سيدي محمد.

ــ عن أخيه مولاي التهامي.

ــ عن جده مولاي عبد الله الشريف.

ــ عن علي بن أحمد الكرفطي الصرصري.

ــ عن عيسى بن لحسن المصباحي.

ــ عن محمد بن علي مهدي الزمراني.

ــ عن عبد الله بن رحال الغرباوي.

ــ عن عبد العزيز التباع.

ــ عن امحمد بن سليمان الجزولي[41].

كما أن العلمي أخذ عن سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الفاسي المدعو الجمل، الذي ينتهي سنده إلى الطريقة الزروقية، فقد أخذ علي بن عبد الرحمن :

ــ عن العربي بن أحمد بن عبد الله الأندلسي.

ــ عن أحمد بن عبد الله الأندلسي.

ــ عن سيدي قاسم لخصاصي.

ــ عن محمد معن بن عبد الله الأندلسي.

ــ عن عبد الرحمن الفاسي.

ــ عن أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي.

ــ عن سيدي عبد الرحمن المجذوب.

ــ عن أبي الحسن علي الصنهاجي الدوار.

---

(40) **الاتحاف**، ج 5، ص 341؛ انظر ترجمته : **الاتحاف**، ج 5، ص 1، 274.

(41) حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان في مناقب شرفاء وزان**، طبعة حجرية فاسية، ص 36–37؛ عبد الإله لغزاوي، **الممارسة الثقافية للزاوية الوزانية... م.س**، ص 95–96.

— عن أبي إسحاق إبراهيم أفحام الزرهوني.
— عن أحمد زروق البرنوصي الفاسي[42].

6 — وفـاتـــه :

دوّن وفاة العلمي غير واحد من المؤرخين والأدباء، فقد ذكر صاحب كتاب الاستقصا ما نصه : «وفي هذه السنة [1266] وذلك ليلة السادس والعشرين من رمضان، توفي ولي الله تعالى أبو عبد الله سيدي عبد القادر العلمي، البركة الشهير، صاحب الأزجال الملحونة، وكانت وفاته بمكناسة الزيتون، ودفن بحومة سيدي أبي الطيب، وعليه بناء حفيل إلى الغاية، رحمه الله ورضي عنه»[43].

وأضاف ابن زيدان : «توفي [العلمي] عن مائة واثني عشر سنة، بداره الكائنة بدرب ابن العواد من مكناس في البيت على يمين الداخل...»[44]، وأورد بيتين من أرجوزة غريط يؤرخان لوفاة العلمي :

حَتَّى قَضَى بِقُرْبِ فَجْرِ ٱلإِثْنَيْن   لَيْلَـةَ يَـوْمِ سَادِسٍ وَعِشْرِيـــن
مِـــنْ رَمَضَانَ سِتَّـــةَ وَسِتِّين   وَأَلْـف إِثْـرَ مِائَتَيْـــنِ اثْنَتَيْـــن

كما رمز لسنة الوفاة أحد تلامذته وهو العلامة المفضل ابن عزوز في رجز له قال فيه :

فِي رَمَضَانَ لَيْلَـةَ ٱلْقَـدْرِ حَـل   لِعِلِّيِّيـنَ الـرُّوحُ مِنْـهُ قَـدْ نَـزَل
فَهَـاكَ رَمْـزُ عَامِـهِ بِـــإِيضَاح   **وَلِّي شُكْرٍ** هَاكَـهُ كَمِصْبَـاح[45]

---

(42) Gœrges DRAGUE, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Paris 1951, «Chaîne mystique de Chadili à nos jours», Tableau n° 22 bis.

(43) أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف : جعفر واحمد الناصري، دار الكتاب، الدارالبيضاء، 1956، ج 9، ص 61.

(44) **الاتحاف، م.س**، ج 5، ص 351.
و = 6، ل = 30، ي = 10، ش 1000، كـ = 20، ر = 200 = 1266.

(45) هذان البيتان — الثاني والسابع — من قصيدة رثائية من 12 بيتاً، تصف وفاة العلمي لتلميذه المفضل ابن عزوز، المتوفى عام 1319هـ/1901م، انظر ترجمته : **الاتحاف، م.س**، ج 4، ص 318–327.

II ـــ الزاوية العلمية :

من بين الشروط التي «اشترط الصوفية لممارسة التصوف «مكاناً وزماناً وإخواناً» وكان للمكان دور واضح لجمع المريدين، واختلفت أنواع الأمكنة اختلافاً كبيراً، فقد يكون مكان الاجتماع للذكر بناء موقوفاً على الطلبة والمريدين، وقد يكون في مسكن الشيخ نفسه...»[46]. وهذا المكان الأخير هو ما عمد إليه العلمي، حيث أسس فيه زاويته قيد حياته، بدار والده بحومة أبي الطيب، وسط مدينة مكناس العتيقة، ودفن بها بعد وفاته.

فمنذ تأسيس الزاوية العلمية والناس على اختلاف شرائحهم الاجتماعية، يتوافدون عليها من كل حدب وصوب قصد :

ـــ التبرك بصاحب الزاوية ـــ حياً وميتاً ـــ.

ـــ الكرع من حياض طريقته الصوفية السُّنية.

ـــ الإفادة من الحكم والنصائح الثمينة، المبثوثة في ثنايا قصائده الملحونة.

وفي هذا الصدد، يوجه غريط أتباع العلمي ومريديه إلى تلقي النصح من خلال أشعار رجال التصوف وملحون العلمي وحكم ابن عطاء الله وتصوف الجنيد الذي كان يلقن في الزاوية :

وَاقْبَلُوا النُّصْحَ مِنْ أَهْلِ ٱلْخَيْرِ وَاسْتَيْقِظُوا مِنْ وَرَطَاتِ ٱلضَّيْرِ
كَٱلْقَاضِي ٱلْحُجَّة فِي مَوْزُونِـهِ وَٱلْعَلَمِي ٱلْقُدْوَة فِي مَلْحُونِـهِ
وَالـدُّرَرِ ٱلْمَنْثُـورَةَ الصُّوفِيَّـة فِي دَرِّ ضِرْعِ ٱلْمُهَجِ ٱلصَّافِية
كَابْنِ عَطَاءِ ٱللَّـهِ وَٱلْجُنَيْـدِي فِيمَنْ سَمَوْا بِٱلْفَضْلِ لاَ بِٱلأَيْدِي[47]

1 ـــ الدور التربوي الديني :

اتخذ العلمي منهجاً متميزاً في تربية المريدين وتلقينهم، يقول عنه تلميذه السقاط : «وكان الشيخ رضي الله عنه معنا تارة فتارة، يرشدنا بالحال والعبارة، بحكم تبتهج بها العقول، توافق المعقول منها والمنقول (...) كأنه عُلِّم البيان قراءة

(46) عبد اللطيف الشادلي، **التصوف والمجتمع**، نماذج من القرن العاشر الهجري، منشورات جامعة الحسن الثاني، سلسلة أطروحات ورسائل، رقم 4، مطابع سلا، سلا 1989، ص 167.

(47) **رياض أنس الفكر، م.س**، ص 93.

ودرساً، وفي بلاغة الكلام رأساً (...) فالله أظهر هذا الإمام، كأنه ترياق لكل الألم، فكا في محض سلوكه كالطبيب، وكل من بث شكواه إليه لا يخيب»[48].

وبناء على شهادة هذا المريد، يتضح جلياً مدى فضل الله وفضل العلمي على أهل مكناسة في تهذيب أخلاقهم وتليين طباعهم وتحسين سلوكهم وتوجيههم إلى الطريق القويم، ويؤكد هذا، ما جاء في شهادة مريد آخر وهو صاحب الحسام الذي قال : «فهو الذي هذب أهلها وأدبهم وعلمهم حسن الظن في عبادة الله، وكثرت محبتهم في رسول الله»[49].

أ ــ الأوراد والأذكار اليومية :

كان الورد اليومي الذي يلقنه العلمي لمريديه في البداية، هو دلائل الخيرات للجزولي، بإشارة من بعض أصحابه الذين قالوا له يوماً : «يا سيدي أردنا أن يكون دلائل الخيرات، يقرأ في الشؤون وأربعين نسخة منه تقرأ في روضتك البهية، تبقى بها دخيرة وحرزاً وتميمة. فقال رضي الله عنه : نعم القصد أملتم ونعم الخير حصَّلتم، ومن سعادته رضي الله عنه أتت في القرب أربعين [كذا] نسخة من حرم القطب الجزولي مؤلفه رضي الله عنه»[50]، إلا أن هذا الورد لم يستمر، حيث يقول ابن زيدان : «ثم صار الورد الذي يلقنه هو سورة يسٓ والصلاة المشيشية، صباحاً ومساء»[51]، ويشير إلى ذلك مؤلف رياض أنس الفكر بما نصه :

وَٱلشَّيْخُ فِي ٱلْهَيْلَلَةِ ٱلْمُبَارَكَة غَالِبُ ذِكْرِهِ فَيَا مَا أَبْرَكَه
وَفِي ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ دَأْبُهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّهُ
ثُمَّ إِلَى ٱلتَّهْلِيلِ وَٱلْجَلاَلَة نَفْياً وَإِثْبَاتاً لِكُلِّ حَالَةِ
وَقَالَ إِنَّ مِنْ **كِتَابِ ٱللَّهِ** قَدْ مُهِّدَ **وِرْدُهَا** وَنِعْمَ ٱلْمُعْتَقَد[52]

(48) **خرق العوائد**، م.س، ص 160–161.

(49) **الحسام المشرفي**، م.س، ص 288–289.

(50) **خرق العوائد**، م.س، ص 159.

(51) **الاتحاف**، م.س، ج 5، ص 351.

(52) **رياض أنس الفكر**، م.س، ص 41.

ب ــ إحياء المناسبات الدينية :

تحيي الزاوية العلمية على مدار السنة، مناسبات دينية كليلة المولد النبوي، وليلة السابع منه، وسرد صحيح الإمام البخاري و«الجمع السعيد» الذي يمهد لإقامة موسم المولى إدريس الأكبر بزرهون.

• ليلة المولد النبوي الشريف :

يقيم أتباع الطريقة العلمية بزاويتهم مهرجاناً دينياً، خلال العشر الأوائل من شهر ربيع الأول، بعد صلاة العصر إلى آذان المغرب، احتفالا وابتهاجاً بذكرى مولد خاتم النبيئين سيدنا محمد ﷺ، تتلى فيه الأمداح النبوية بانشاد قصيدتي البردة والهمزية للإمام البوصيري ووتريات البغدادي وأشعار الحلبي، ويختتم هذا المهرجان باحياء ليلة عيد المولد النبوي الشريف، يوم 11 ربيع الأنور، تمتد من بعد صلاة العشاء إلى مطلع الفجر، يقدم أثناءها الحليب والتمر للحاضرين.

وفي ليلة السابع من عيد المولد، تقام ليلة أخرى على غرار الأولى مع اطعام الطعام...(53).

• سرد صحيح الإمام البخاري :

يُسرد صحيح الإمام البخاري بالزاوية العلمية، ويختار لسرده ذوو الفصاحة والأصوات العذبة، خلال شهور : رجب، شعبان ورمضان، كل يوم بعد صلاة العصر إلى آذان المغرب، ويختتم يوم سادس وعشري رمضان بإحياء ليلة القدر المباركة(54).

• الجمع التمهيدي لإقامة الموسم :

ينظم الفقراء العلميون حفل الجمع التمهيدي «الجمع السعيد» في بداية فصل الصيف من كل سنة، تهييئاً للذكرى السنوية للفاتح الأشهر، المولى إدريس الأكبر وتحديد تاريخ إقامة «موسم العَلَميين» الذي أسسه العلمي. وحول هذا التأسيس يقول الشاعر أبو محمد عبد القادر العرائشي في قصيدة نقتطف منها هذه الأبيات :

واتَّبِعْ أَسْرَارَ مَدْحِ ٱلْعَلَمِي إذْ بِهَا نَالَ مُنَاهُ وَوَصَلْ

---

(53) مازالت هذه العادة إلى اليوم.

(54) هناك وقف على سرد الإمام البخاري بالزاوية العلمية.

شَيْخَنَا مَوْلاَيَ عَبْدِ ٱلْقَادِرِ بـــــــــنِ مشيشٍ ذِي عُلُومٍ وَعَمَل
لاَ تَحِدْ عَنْ نَهْجِهِ فَهْوَ ٱلَّذِي أَسَّسَ **ٱلْمَوْسِمِ** فِينَا لَمْ يَزَلْ
هَــذِهِ سُنَّــةُ نَــاسٍ فُضَلاَ أَجْرُهَا قَدْ جَاءَ مِنْ خَيْرِ ٱلْعَمَلْ[55]

يحضر الجمع جم غفير من المدعوين من مختلف الحيثيات ومادحون ومسمعون من عدة مدن مغربية، ويفتتح الحفل بتلاوة سورة يسٓ والصلاة المشيشية، وتتخلله الأمداح النبوية والابتهالات والأدعية والمواويل والإنشادات الصوفية، وقصيدة «التوسل» للعلمي، ويختتم بالدعاء الصالح لأمير المؤمنين والأمة العربية والإسلامية.

ج ــ إحياء المناسبات الاجتماعية :

جرت العادة بين أهل مكناس، عند الإعلان عن المصاهرة فيما بينهم أن يقيموا حفلا يعرف بـ«قراءة الفاتحة» أو «أرفود الفاتحة أو إشراب الحليب» بالزاوية العلمية، بعد صلاة مغرب يوم الجمعة الموالي للخطوبة، يحضره أفراد أسرة الخاطب والمخطوبة وأقاربهم وأصدقاؤهم، ليعلن عن «الزواج لجمهور الناس كما هو مطلب الإسلام، ليزداد قوة وتأكيداً باعتراف الرأي العام»[56]، حيث يتولى أحد المقدمين المعروفين بعلمهم وفصاحتهم، بإلقاء خطبة تعرِّف بحسب ونسب الأسرتين وخلال الفتى والفتاة، تختم بتلاوة الفاتحة والدعاء لهما بالسعادة وبالرفاء والبنين وخالص الدعوات لأمير المومنين، والشكر من الجانبين لجميع الحاضرين.

وأثناء الحفل، يوزع التمر والحليب على المدعوين الذين يتبادلون التهاني والتبريك فيما بينهم... إلا أن هذه العادة انقرضت بسبب التغير والتحول اللذين عرفتهما

---

(55) انظر ترجمته : امحمد العرائشي، ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي، مطبعة كريماديس، تطوان، 1972، وحول هذا الموسم، انظر :

Abdelwahed BEN TALHA, *Moulay Idriss du Zerhoune. Quelques aspects de la vie sociale et familiale,* Editions Techniques Nord Africaines, Rabat 1965, pp. 116-200.

تجدر الإشارة إلى أن أحد المقدمين يقوم بجمع تبرعات نقدية تعرف بـ«الزيارة» من المدعوين ــ لكل حسب طاقته وأريحيته ــ ويحتفظ بها إلى حين إيداعها في صندوق الفتوحات «الربيعة» بالضريح الإدريسي بزرهون، فجر السبت ثالث يوم من موسم العلميين، تسرد أثناءها قصيدة «الإدريسية» للعلمي التي لازمتها :

يَا حَفِيدَ ٱلْمُصْطَفَى يَا الْغَوْثَ الْهُمَامْ غِيثْنَا يَا مَوْلاَيَ ادْرِيسْ بَالْكَرَايَـمْ

(56) ادريس الكتاني، «الأسرة المغربية التقليدية : تكوينها ــ عاداتها وتقاليدها ــ بنيانها الاجتماعي»، **مجلة البحث العلمي**، ع 7، س 3، يناير/أبريل 1966، ص 127-146.

الأسرة المغربية التقليدية بعد الاستقلال، وحلت محلها الصحافة والطباعة ووسائل الاتصال.

2 ــ الدور التعليمي والفني :

لعبت الزاوية العلمية أدواراً تعليمية وفنية هامة، من بينها :

أ ــ تدريس العلم :

فقد شهدت رحاب الزاوية ومسجدها تنظيم حلقات علمية في مجال تدريس العلوم الإسلامية، من فقه العبادات والمعاملات وتفسير للكتاب والحديث والتوقيت، إلى جانب علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها... ومن بين العلماء الذين تعاطوا التدريس بمسجدها منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي :

ــ العلامة المفضل بن عبد الهادي ابن عزوز، تلميذ العلمي، وأحد محبيه ومعتقديه، قال عنه صاحب الاتحاف : «فقيه جليل، عالم بالتفسير والحديث، والسير والفقه والأصول وعلوم البلاغة...»[57]، كان يدرِّس كتاب الشمائل للإمام الترمدي بين العشاءين، يسار المحراب[58]، وقد أثبت الشاعر الكاتب السيد إبراهيم بن أبي القاسم المسطاسي في مجموع، القصائد الشعرية التي قيلت في مجلس ابن عزوز بمناسبة ختمه للكتاب المذكور بالزاوية العلمية[59]، توفي بمكناس في شهر صفر عام 1319، ودفن بالزاوية الكنتية بحومة سدراتة.

ومن العلماء الذين درّسوا بالزاوية العلمية إلى حدود الثلاثينيات والخمسينيات من القرن العشرين :

ــ شيخ الجماعة محمد بن الحسين العرائشي، درّس النحو والصرف والفقه المالكي وفقه العبادات وكان «مشاركاً في علوم الحديث والتجويد والبيان والمنطق

---

(57) **الاتحاف، م.س**، ج 4، ص 318.

(58) الحاج إدريس بن علي السناني لحنش، **الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح**، مخطوط الخزانة العامة، الرباط رقم كـ 1678، ص 276.

(59) مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم د 515.

والعروض والقوافي، ملمّاً بالحساب والتوقيت...»[60]، توفي بعد عشاء ليلة الأحد 10 شوال عام 1351هـ/ 5 أكتوبر 1933م، وأقبر بالزاوية الكنتية، بحي سدراتة، ملاصقاً للمحراب عن يمين المستقبل[61].

ــ المدرس المفتي محمد (فتحا) بن المبارك بن علي الهلالي، كان يدرس متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني وشرح أبي الحسين عليها، توفي سنة 1372هـ/ 1953م[62].

ــ المدرس العالم الخطيب العدل الحاج بنعيسى بن بوسلهام الخلطي البوجنوني، درّس مختصر خليل بشرح الدردير[63] توفي بمكناس سنة 1382هـ/ 1963م ودفن بضريح سيدي موسى بحي التوتة.

ب ــ تعليم قواعد التجويد والسماع :

اعتنت الزاوية العلمية بتعليم المريدين قواعد فن التجويد بقراءة ورش، القراءة الوحيدة التي كانت متداولة بكثرة في المغرب الأقصى، قبل ظهور التأثيرات المشرقية ــ قراءة حفص ــ عن طريق وسائل الإعلام السمعية والأسطوانات والأشرطة.

كما اهتمت بتدريس قواعد فن المديح والسماع، عملا بوصية العلمي، الذي كان يوصي مريديه بأن «يذكروا الجلالة الجمالية كهيئة الطائفة الصقلية[64]

---

(60) انظر ترجمته : محمد المنوني، «محمد بن الحسين العرائشي، شيخ الجماعة بمكناس»، **مجلة دعوة الحق**، ع 10/9 «مزدوج»، س 11، غشت 1968، ص 111.

(61) **نفسه**، ص 114.

(62) امحمد العرائشي، «الثقافة بمدينة مكناس في حاضرها وماضيها»، **أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس 1988، ص 318.

(63) **نفس المرجع والصفحة**.

(64) طريقة شاذلية خلوتية «مؤسسها مولاي أحمد الصقلي، وعمدته فيها الشيخ أبو عبد الله مَحمد (فتحا) بن سالم الحفناوي المصري الشافعي، أخذ عنه الطريقة وأذن له في تلقينها في رحلته إلى الحج، حيث اجتمع به عام 1158هـ.
كان الصقلي يحيي مع أصحابه الليالي بالذكر ويعطي الورد ويبوح بالسر ويفعل الذكر أيضا نهاراً في بعض النزهات أو عند بعض الأصحاب والخلوات وفي المواسم والأعياد، وكثيراً ما كان يجتمع مع أصحابه أيضاً في المكتب الذي بدرب الطويل عند دار الشرفاء الصقليين... =

بالإنشاد والسماع (...) حتى يرتضعوا الذكر من تدي الكرم، ويرقصون به شوقاً في مقعد الصدق عند مليك محترم، يذكره العبد في نفسه أو باللسان، أو مع الأنشاد بالأصوات الحسبان. فعلينا أن نذكر الله بكل حال، ولو مع السماع بالأزجال. فكم رق من قلب لسماع الأشعار، وكم هيّج بلابل أهل الأذكار، فإذا تغنى في الجمال الحادي، فإلى تلك الورود يشتاق الصاد. وربما بعضهم يهيم شوقاً للمحبوب، فينال بهيمانه كل مطلوب، فإن الذكر مأوى المغرمين، وإليه تحن قلوب العاشقين. والجمع مع شائق محمود، وقلوب الذاكرين ترتاح وتجود...»[65].

وقد أنجبت المدرسة الفنية بالزاوية العلمية منذ تأسيسها مادحين ومسمعين ذوي أصوات حسان، تعاقبوا على مر الأجيال، نذكر بعضاً ممن تألق نجمهم في هذا الفن منذ مطلع القرن العشرين إلى أواخر الستينيات الميلادية :

ــ المسمِّع السيد محمد وقادة، المكناسي أصلا، الرباطي داراً وقراراً. حلاه محقق كتاب الحائك بقوله : «أمير المواويل والإنشادات والمتلاعب بالنغمات والمايات، يمتاز بصوت زادته غنته الأنفية توشية ونبرات عذبة. كان [عَلَمي الطريقة] (...) استقدمه السلطان المولى يوسف وجعله من ضمن خدامه وأسكنه داراً بالمشور السعيد هو وعائلته...[66].

ــ المسمِّع السيد محمد بن الجيلاني شويكة، المكناسي أصلا، الرباطي داراً وقراراً، أشاد به محقق الكتاب المذكور بما نصه : «شحرور غريد، وعندليب فريد، تهفو لترانيمه الأرواح، وتصبو إليه النفوس والأشباح. أوتي صوتا رقيقاً حلواً يجذب إليه الأسماع، كان منتسباً للطريقة العَلَمية» حظي بنفس العناية التي حظي بها سابقه من جانب السلطان المولى يوسف، وفي سنة 1932 «رافق الجوق المغربي

= توفي مولاي أحمد الصقلي بعد عصر يوم السبت سابع رمضان عام 1177هـ، ودفن من الغد ظهراً بعد الصلاة عليه بمسجد القرويين في دار بأقصى درب سبع لويات حيث بنيت زاويته المباركة»، انظر، الكتاني، **السلوة**، **م.س**، ص 133-137.

(65) **خرق العوائد**، **م.س**، ص 157-158.

(66) محمد بن الحسين الحائك، **مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحائك**، تحقيق عبد اللطيف محمد بنمنصور، ط 1، مطبعة الريف، الرباط 1977، ص 464.

الذي حضر مؤتمر الموسيقى العربية بالقاهرة...»[67].

ــ المسمِّع السيد حميدة (بتشديد الميم) بن عبد الوهاب بن محمد بن الحاج العيساوي المسطاسي، المزداد بمدينة مكناس عام 1311هـ والمتوفى بها عام 1389هـ/ 1969م، نوه به المحقق السابق الذكر فقال : «من أبرز المسمعين، وأجل المادحين، جهوري الصوت، قوي النفس طويله، حلو النغم لذيذه، خالص الوِرد عَلميه، كان محيطاً بكلام الولي الصالح سيدي قدور العلمي رضي الله عنه، ملمّاً بأنغام الجلالة والحلل، وفيه سر الحضرة وحلقاتها قد اكتمل، فبموته انقرض من يدانيه في موهبته، وانقضى من يضارعه في صولاته وجولاته...»[68].

ج ــ تعليم قواعد النظم والإنشاد :

كانت مجموعة من الكتاب والرواة تحلق حول العلمي، الملقب عندهم بـ«شريف القول» لكتابة أزجاله الملحونة، وحفظها ونشرها عن طريق النسخ والإنشاد في المحافل والأوساط الرسمية والشعبية... فلا غرابة أن نجد هذه الأزجال الأكثر انتشاراً وتداولاً بين مختلف الطبقات، والأكثر تدوينا في كنانيش الملحون، تزخر بها الخزانات العامة والخاصة، في المغربين الأوسط والأقصى...

فمن الكتاب :

ــ الطبيب امحمد بن عبد الهادي غريط ــ السابق الذكر ــ.

ــ السيد الحاج قاسم ابن المير[69].

ــ السيد الحاج أحمد الدقيوق[70].

ــ الوزير محمد بن إدريس العمراوي ــ السابق الذكر ــ كاتب وشاعر للموزون والملحون.

---

(67) **نفسه**، ص 465، انظر كذلك : صالح الشرقي، **أضواء على الموسيقى المغربية**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977، ص 90.

Salah CHERKI, *Musique marocaine*, Imprimerie Fedala, Mohammédia, 1981, pp. 184-185.

(68) **مجموع أزجال وتواشيح**، م.س، ص 466.

(69) **الأتحاف**، م.س، ج 5، ص 341.

(70) **نفسه**، ج 5، ص 341.

ومن الرواة والشعراء :

ـــ السيد أبو زيد عبد الرحمن الإدريسي الزرهوني ـــ السابق الذكر ـــ.

ـــ السيد محمد بن سميه بن هاشم العلوي الحروني، يدعى «بابا بنهاشم»، أثنى عليه ابن زيدان بقوله : «له اليد الطولى في نسج الأزجال الملحونة على أبدع منوال وأحسن أسلوب (...) توفي بالحضرة المكناسية، يوم الجمعة 19 حجة الحرام عام 1323هـ/ 1905م، ودفن بالزاوية الكنتية بالصف الأول منها[71].

ـــ الفقيه بوغنبور، هو الوزير محمد بن سميه بن عبد الله غريط الأندلسي الأصل ـــ سبقت الإشارة إليه ضمن مريدي العلمي في التصوف ـــ يدعى الفقيه بوغنبور، المكناسي النشأة والدار، الفاسي النقلة والإقبار[72].

ـــ الفقيه العدل، الأديب الطيب بن عبد السلام الواستري، الملقب «اكحل العيون»، نوه به ابن زيدان حين قال : «... كاتب ناظم ناثر نزيه، ذو خط بارع، نسخ بخطه عدة كتب، وكانت له وجاهة عند السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام، وكان ينظم الأزجال الملحونة وله اليد الطولى في جيد النظم (...)، توفي أواسط القرن المنصرم بهذه الحضرة المكناسية[73]، وأشار له مؤلف كتاب القصيدة بقوله : «كان من كتاب العلمي وقد اشتهر بسرابة ربيعية تعتبر أحسن سرابة نظمت في «الربيع» يقول في أولها :

فَصْلْ الرّبيعْ كَبَّلْ وَٱلْوَقْتْ ازْيَانْ   وَاعْلاَمَاتْ الْخِيرْ لِلْوْرَى بَانُــو[74]

ـــ الشيخ الحاج العربي المكناسي، من الرواة الذين نشروا أشعار العلمي الملحونة بالقطر الجزائري، حيث ترك اثنين وعشرين من الرواة بمدينة تلمسان التي

(71) **نفسه**، ج 4، ص 281–283. للمزيد، آنظر مساهمتنا : «الشاعر بابا بنهاشم تلميذ سيدي عبد القادر العلمي» (مرقونة) في ندوة : **الملحون، تاريخ وفن** خلال ملتقى سجلماسة الثاني لفن الملحون، الذي نظمته وزارة الشؤون الثقافية بإقليم الرشيدية من 31 مارس إلى 2 أبريل 1989.

(72) انظر الهامش 38.

(73) **الاتحاف، م.س**، ج 3، ص 93–95؛ محمد الفاسي، **معلمة الملحون**، ج 2، ق 2 : تراجم شعراء الملحون، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة «التراث»، الرباط، ص 370.

(74) د. عباس الجراري، **الزجل في المغرب : القصيدة**، منشورات مكتبة الطالب، الرباط 1970، ص 637، هامش 1.

كان قد نزح إليها، وكان هو بدوره شاعراً للملحون وله روائع في باب الحكمة والموعظة والمديح النبوي، توفي في 15 ربيع الأول عام 1346هـ، ودفن بمقبرة ضريح سيدي بُوحْيا بمدينة القصر الكبير، خلافا لما ذكره الأستاذ محمد الفاسي بأنه توفي بالعرائش(75).

د ــ الوراقة ونسخ الكتب :

نشطت حركة الوراقة ونسخ المخطوطات في رحاب الزاوية العلمية، منذ نشأتها إلى أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، فقد وقفنا على عدة مجلدات مخطوطة أنجزت داخل الزاوية ومحبسة عليها، منها :

ــ نسخ من قصيدتي البردة والهمزية لشرف الدين محمد البوصيري وأشعار في المديح النبوي، مسفرة، بخط الشريف العالم المحقق سيدي عبد الله بن محمد ابن عبد الله الحسني الأسماعيلي(76).

ــ نسخ من دلائل الخيرات لمحمد بن سليمان الجزولي، من مختلف الأحجام والقياسات، لعلها بقايا النسخ التي جيء بها من ضريح الجزولي بمراكش ؟

ــ نسخ من أرجوزة الطبيب العلامة امحمد بن عبد الهادي غريط، المسماة : «رياض أنس الفكر والقلب» ــ السابقة الذكر ــ.

ــ نسخ من صحيح الإمام البخاري، وخصوصاً نسخة في أربع مجلدات من الحجم الكبير، في علبة من خشب العرعار، لم تر قطُّ عيني مثلها، من حيث روعة الخط المغربي وجماليته، والترجمة أي التزويق والتنميق من تسطير وتوريق، بألوان زاهية متناسقة، محلاة ومموهة بماء الذهب، زادتها جودة الورق قوة ومقاومة

---

(75) **معلمة الملحون، م.س،** ج 2، ق 2، ص 248–249؛ وقد اعتمدنا في تصحيح مكان الدفن، على رسالة مؤرخة بـ28 شعبان 1404 الموافق 30 ماي 1984، موجهة من السيد عبد الرحمن الروسي بالعرائش إلى السيد عبد الحميد العلوي المدغري بمكناس، تحتفظ بها خزانة خاصة.

(76) هناك منتسخات أخرى لهذا العالم الخطاط، موجودة بالخزانة الحسنية بالرباط، ذكرها له : محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 2، 1991، ص 291.

للزمن، وهذه النسخة ـــ التحفة ـــ الفريدة عارية من اسم الناسخ، أما تاريخ الفراغ من النسخ فهو يوم الأحد 11 ربيع الثاني عام 1322.

وقد كتب على أحد أجزائها : «الحمد لله، هذا الجزء الثاني من صحيح أبي عبد الله سيدي محمد بن إسماعيل البخاري، حبس على زاوية الولي الصالح مولانا عبد القادر العلمي نفع الله به، من قبل محبسه الشريف مولاي عبد السلام بن سيدي محمد بن الحسن الأمراني، لينتفع به هناك طلاب العلم الشريف بالنظر والقراءة والدرس والنسخ والمقابلة، بمن بشهادته ما ذكر في أول ورقة من الجزء الأول فيها هنا تنبيها على الحسب المذكور، في ثاني جمادى الثانية عام واحد وخمسين وثلاثمائة وألف».

III ـــ علاقة الزاوية العلمية بالسلطة المركزية :

وصلت علاقة الزاوية العلمية بملوك الدولة العلوية في عهد مؤسس الزاوية إلى مستوى رفيع متميز، بدليل ما ورد عند ابن زيدان، من أن السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام «كان من خاصة محبي المترجم ـــ العلمي ـــ ومعتقديه، يذهب لزيارته كلما حل بالحضرة المكناسية، ويستشيره في كل مهم عنَّ له ويقف عند حدّ إشارته، وقد شاهد له كرامات وخوارق عادات...»[77] كما أن العلمي «كان يقابل احترام السلطان ومحبته إياه بغير قليل من القصائد، يقدمها في مدحه ومساندة حكمه والوفاء للدولة العلوية»[78] والدعاء الصالح له والدعاء على مناوئيه، وهذه بعض الأمثلة من هذه القصائد :

ـــ قصيدة الغيبة ولازمتها :

طَالَتْ بْسِيدِي هَذَا ٱلْغِيبَة وَتْوَحَّشْتْ بْهَاهْ
وْ لاَ قْـدَرْتْ لَلْفْـرَاقْ مْعَـاهْ

ـــ قصيدة ريح النصر ولازمتها :

غِيثْ لَهْمَامْ بْرِيحْ النَّصْرْ يَا لْقَهَّـارْ
وُنَفَّـدْ دْعَوْتُـو فَٱلطُّغَـاةْ وَٱلْجَبَابَـرْ

(77) الاتحاف، م.س، ج 5، ص 337.

(78) القصيدة، م.س، ص 633.

وبالرغم من انقطاع العلمي عن النظم، حيث لم يعد يعنى به في أواخر حياته، «أبدى استعداده ولبى رغبة السلطان لما طلب منه بعض قصائده تبركاً، واعتبرها أمراً تجب طاعته»(79). فارتجل القصيدة التي لازمتها :

مَنْ صَرْخْتُو لَحْمَاكْ قْرِيبَة وَمْقَامَكْ عَلاَّهْ حُبْ غِيرُو لاَ تَسْتَحْلاَهْ

ومطلعها :

عَشْقْ لَجْمَالْ طَبْعْ غْرِيزْ اَفْمَنْ هُو الْبِيبْ

ويضيف الدكتور عباس الجراري : «ويظهر وفاء العلمي لهذه الدولة وملوكها في قصيدته التي تقول حربتها/ لازمتها ناصحاً بزيارة قبر سيدي محمد بن عبد الله جد المولى عبد الرحمن وكان عاصره كذلك :

لُـنْ ابْجَـدْ لَشْرَافْ لهْمَـامْ السُّلْطَـانْ
ابَنْ عْبْدْ اللَّهْ كَوْكَبْ الْغَرْبْ الْجَوَّانْ»(80)

ولم تخل قصيدته التاريخية «ورزيغة» التي يصف فيها الأحداث التي وقعت في ضواحي مكناس سنة 1235هـ من الدعاء للسلطان المولى سليمان :

اجْعَلْ اللَّهْ عْلَى يَدْ الشّرِيفْ السِّجْلَمّاسي
سُلْطَانْ سْلاَلَةْ السّلاَطَنْ مَنْ بَهْجَةْ فَاسْ
نَصْرُو وَحْمِيهْ وَكُنْ لُو اعْوِينْ زَطَّاطْ وُكَاسِي
وُخُذْ قْصِيدَة إِلَى انْتَ مَنْ بَهْجَةْ مَكْنَاسْ(81)

ويختم العلمي قصيدته المشهورة «الجمهور» بالدعاء إلى الله أن ينصر الإمام ويكون له عوناً وظهيراً :

وَانْصُرْ يَا ذَا اَلْجَلاَلْ الإمَامْ اَلسُّلْطَانْ وَشْرَحْ صَدْرُو وَكُنْ لُو سْنِدَ وَعْوِينْ
وَاهْدِيهْ وُعَزّ بِهْ مِلَّةْ الْمُسْلِمِيـنْ

أما أتباع العلمي/ الفقراء العلميون/ أصحاب السيد، فقد حذوا هم كذلك

---

(79) **نفسه،** ص 633.

(80) **نفسه،** ص 637.

(81) انظر مساهمتنا : «وصف مكناس في شعر الملحون»، ضمن أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية، **م.س،** ص 390-391.

حذو شيخهم في نهجه وسلوكه اتجاه المخزن الشريف، بطاعتهم وولائهم ودعائهم لأولي الأمر ممن تعاقبوا على حكم المغرب.

ولما كانت الزاوية العلمية من المدعمين للمذهب السني ــ الذي هو مذهب الدولة ــ ومن الموالين لسياستها في المنشط والمكره، أصدر الملوك العلويون عدة ظهائر ورسائل موجهة لهذه الزاوية ولأتباعها ومقدميها، منذ المولى عبد الرحمن إلى المغفور له محمد الخامس، أي منذ وفاة العلمي سنة 1266هـ/ 1850م إلى سنة 1361هـ/ 1942م على امتداد ما يقارب قرناً من الزمن إلا بضع سنوات :

الملوك العلويون	عدد الظهائر	عدد الرسائل
ــ عبد الرحمن بن هشام	3	1
ــ محمد بن عبد الرحمن	1	
ــ الحسن الأول	4	1
ــ عبد العزيز بن الحسن	5	
ــ عبد الحفيظ بن الحسن	1	
ــ يوسف بن الحسن	3	
ــ محمد بن يوسف	3	

وتتوزع موضوعات هذه الظهائر كما يلي :

1 ــ ظهائر التوقير والاحترام لفائدة الزاوية والفقراء والمقدمين وتجديدها من قبل الملوك المتعاقبين على العرش المغربي.

2 ــ تعيين المقدمين واقرارهم في مناصبهم وعلى ما هم مكلفون به.

3 ــ فض النزاعات الطارئة بين المقدمين.

4 ــ الإنعام على البعض من المقدمين.

وقد عمدنا إلى تقديم هذه الظهائر، مرتبة ترتيباً كرونولوجياً، حسب صدورها وحسب الأسر التي تولت وظيفة التقديم بالزاوية العلمية.

أما الرسائل فهي قليلة، مقارنة مع عدد الظهائر :

ـــ رسالة واحدة من المولى عبد الرحمن بن هشام.
ـــ رسالة واحدة من المولى الحسن الأول.
ـــ ثلاث رسائل صادرة عن الصدارة العظمى :
* اثنتان بتوقيع إدريس الزمراني.
* رسالة واحدة بتوقيع محمد المقري.